وان فى انتشار هذا النوع الجديد من المدارس فى أمريكا وانجلترا وفرنسا لبرهاناً ساطعاً على ماله من المزايا الجمة والفوائد الجليلة

ولقد قرأت منذ سنين أن لوردا انجليزياً غنياً أراد أن ينشئ مدرسة من غير معلمين فأعدّ لها المكان وجهزها بالأثاث والأدوات ثم أغلق على التلاميذ الباب وتركهم وشأنهم لينظموا أمورهم ويتعلموا من تلقاء أنفسهم بالمخالطة والمراس غير أن تلك المدرسة قد فشلت ولم يك بالغريب فشلها فكل مازاد على حده انقلب الى ضده اذ لا غنى للمتعلم عن المعلم والمسترشد عن المرشد وانما ضربتها مثلا وان لم تنجح لما تدل عليه من اغراق هؤلاء فى ضرورة اطلاق الحرية للمتعلمين والثقة بهم الى حد بعيد

احمد فهمى العمروسى

السلطة والحرية

معناهما . نشأتهما . اثرهما فى التربية

زين للناس حب الحرية فهاموا بها وصبت نفوسهم اليها وجعلوها غرضهم فى الحياة وتخيلوها الهة السعادة فعبدوها وأنشدوا الاشعار فى مدحها وضحوا بحياتهم فى سبيلها فوقعوا فى الأسر الذى منه يفرون ورضوا بالذل وهم صاغرون . تلك قوانين الاجتماع ومناهج العالم وسنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا

فالحرية المطلقة سراب بقيعه يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم

يجده شيئاً ولقد أخطأ الذين قالوا ان الغرض من التربية هو الحرية التامة ودعوا الناس الى ترك العنان للأطفال واعتبروا المدارس سجوناً والسلطة رقاً واستعباداً وحرموا ذلك على بني الانسان زاعمين انه لا يتفق مع سنن النمو . وان طريق النشوء الطبيعي هو الحرية لا غير

لجأ قوم في الأزمنة المختلفة الى السلطان وزعموا أن الافراد عبيدهم وانهم لم يخلقوا الا لخدمتهم وتفننوا في الظلم « وأثقلوا ظهور الرعية بمطالبهم وأتوا على ما في أيديها من ثمرات أعمالها وانحصر سلطان القوى في اختطاف ما بيد الضعيف وفكر العاقل في الاحتيال لسلب العاقل وتبع ذلك أن استولى على تلك الشعوب ضروب من الفقر والذل والاستكانة والخوف والاضطراب لفقد الأمن على الارواح والأموال وغمرت مشيئة الرؤساء ارادة من دونهم فعاد هؤلاء كأشباح اللاعب يديرها من وراء حجاب ويظنها الناظر اليها من ذوي الألباب فقد بذلك الاستقلال الشخصي وظن أفراد الرعايا أنهم لم يخلقوا الا لخدمة ساداتهم وتوفير لذاتهم كما هو الشأن في المجموعات مع من يقتنيها . . . وذلك كان شأنهم في معايشهم — عبيد أذلاء حيارى في جهالة عمياء »[1]

كره فريق كل سلطة لأنها تحول بين الانسان ورغباته وتقف دون آماله في الحياة وتضع في رجليه قيوداً لا يستطيع معها صبراً وفي رقبته أغلالاً أشد عليه من هول الموت وتعتبره آلة صماء لا

---

(١) من كلام المرحوم الأستاذ الأمام الشيخ محمد عبده في «رسالة التوحيد»

يعرف شيئاً عن اليأس والرجاء فنصبوا لها حرباً عواناً ونادوا انصارهم فشنوا غارة شعواء وحملوا عليها حملة رجل واحد فانهزمت أمامهم جيوشها وتدهور عرشها وذهب حولها ولم يبق لها من صولة ترهب أو قوة تخشى أو أمر يطاع وأخذت بنى الأنسان نشوة النصر ودب دبيبها فى عروقهم فأساءوا استعمال الحرية الموهومة وقهر القوى الضعيف وسادت الفوضى وعم الفساد وانتشر الظلم ووقع الناس فى بلاء لا نهاية له فسفكوا الدماء وقتلوا الابرياء فلا عم بالذين يأخذون ولا بأواصر القرابة يتمسكون وذهبت الرحمه من القلوب واشتد الظلام وارتطم الانام بين عذاب الحرية وشقاء السلطة

وما تاريخ بنى الانسان الا حرب مستمرة بين الحرية والسلطان ولكن الحرية المطلقة هى الفوضى بعينها والسلطان التام هو الاستعباد والأسر وكلاهما شر من صاحبه والحق أن الحرية التامة لا وجود لها وان السلطان المطلق لا معنى له وما الحرية وطاعة السلطة الا عنصران لا انفصام بينهما ولهذا الاجمال بيان لايحسن الا به

يتغنى الناس ويرفعون عقيرتهم فى الوقت الحاضر بما لهم من حرية الفكر ويرجعون على أسلافهم باللائمة لاستسلامهم لفئة قليلة من رجال الدين ونفر لا يتجاوز عد الأصابع من أهل العلم ولو أنهم أنصفوا لعلموا انهم فروا من أسر الى أسر ومن سلطان الى سلطان ألست ترى أتباعهم لرجال العلم والمفكرين فى الآراء والاعتقاد ألا تبصر تقليدهم لذوى الوجاهة وأرباب الاقلام والخطباء وأهل السياسة

يقول الجغرافيون ان الارض تدور حول الشمس فنطأطئ لهم الرؤوس ونشكر لهم جليل أعمالهم من غير أن نفكر فى الأمر أو نعيره أية عناية ومع هـذا نفتخر بالحرية ونبجل الأحرار ونقول أن الفكر حر كالهواء أسائلك فقل لى بربك أين هذه الحرية وأنت ترى من القيود ماترى وتعـلم من القوانين المنطقية والحقائق العلمية ما تعـلم فمن منا يستطيع أن يعرف المثلث بأنه شكل رباعى أو يقول ان قوة الجاذبية لاوجود لها أو أن القارة الأمريكية من اختراع الوهم وعمل الخيال

لابد أن يكون للحيـاة غرض شريف يسعى الأنسان للحصول عليه ويوجه كل آماله اليه ويبذل جميع ما فى وسعه لتحقيقه

كل له غرض يسعى ليـدركه والحر يجعل ادراك العلا غرضا

ولهذا الغرض سلطان على النفوس وحكم فيها لأنه يحتم على المرء اتباع طرق خاصة والقيام بطائفة من الأعمال يفرضها عليه وهذه قد تكون سهلة أوصعبة على حسب شرف الفرض وعلوه ومقدار استعداد الشخص والأغراض تختلف فى أطوار الحياة المتتابعة ومنها ما يعجز الأنسان دون ادراكه ولا يستطيع الوصول اليـه فى حياته وان المرء الذى لا غرض له فى الحياة ولا عمـل جدير بأن يضمحل وينعـدم ويحل محله غيره فقد « قضت الحـكمة الألهيـة بتنازع البقـاء فالأمم بل فصائل الحيوان كلها تتنازع البقاء فى هـذا الوجود فعلى الأنسان أن يستعد ليأخذ مكانه فى هـذا العالم ويتبوأ مركزه تحت الشمس وأى كائن لا يعمل لاستبقاء وجوده فانه يضمحل وينعدم ويخلى مكانه لـكائن آخر

أصلح منه للبقاء »[١] .

إن للنفس الأنسانية ميولاً متضاربة ولا شك أن ترك العنان لكل واحد منها يدعو الى الفوضى ويقود الى الهلاك والدمار ولهذا يجب التوفيق بينها وارشادها الى طريق الفضيلة وكبح جماح النفس وقمعها عن الشهوات الحيوانية وزجرها عما لايتفق مع كرامة الأنسان ولا يليق بحرمته

الأنسان مدنى بالطبع « ومحتاج فى قوامه وفى أن يبلغ أفضل كمالاته الى أشياء كثيرة لايمكن أن يقوم بها كلها هو وحده بل يحتاج الى قوم يقوم له كل واحد منهم بشىء مما يحتاج اليه[٢] » فلا بدع اذا قلنا أن الفرد مدين للجماعة فلا بد أن يطيع قوانينها ويخضع لسلطانها ويحترم نظامها حتى يستمد منها كثيراً من المنافع المادية والأدبية وتصل نفسه الى أفضل حالات الكمال ويتمتع بالحرية ويعيش فى ظل النظام العام فيكون له ما لبقية الأفراد وعليه ما عليهم « وقد اختص الله سبحانه وتعالى الأنسان بالعقل الذى يرى به ارتباط الحقوق بالواجبات وأنه ليس لانسان حق الا وعليه واجب يقابله ويكافئه فحق الحياة يقابله واجب المحافظة عليها والعمل لرقيها وحق الحرية يقابله استعمالها فيما يعود على المجتمع بالخير والسعادة . . . ومن ظن أن له حقا فى التمتع بنعمة الحرية والاستقلال دون أن يقوم بما يجب عليه من العمل الطيب لأمته

---

(١) صاحب السمو الأمير الجليل يوسف كمال فى أهرام ١٦ — ١١ — ١٩٢٠

(٢) راجع الفارابى فى كتابه آراء أهل المدينة الفاضلة

ولبلاده فقد ضل سواء السبيل وانحط من درجة العقل الأنسانى الى درجة العدم [1] » ومن هنا نرى أن الخضوع طريق الاستقلال وأن الطاعة وسيلة الحرية

أين هذه الحرية المطلقة والأنسان أسير القوى الطبيعية تبخل عليه السحب بمائها فيظمأ وتجود بوابلها فيغرق وينقطع عنه الهواء فيموت وتقف الجبال فى وجهه ويحول البحر دون أحبته تذيب دماغه حرارة الشمس ويفتك به البرد وتهب عليه ريح صرصر عاتيه وتنزل به الصواعق وتثور عليه السماء فترميه بشررها وتحرقه بلهيبها وتهلك حرثه ونسله وتذهب بخيراته وهو مع ذلك لا يستطيع لهذه الأشياء رداً ولا يجد لنفسه واقياً . كأنى بك أيها القارئ تقول أن الأنسان سخر الطبيعة فمشى على الماء وطار فى الهواء وزحزح الجبال وأخرج من بطن الأرض ذهباً وفضة واستخدم الكهرباء وانتفع بالبخار وذلل الحيوان ألا أدلك كيف فعل هذه الأشياء لم يفعلها إلا لأنه خضع للقوانين الطبيعية فمن الخضوع استمد الحرية ومن الطاعة اكتسب السلطان

ليس من غرضنا أن نتكلم بالتفصيل فى نشأة الحرية والسلطان ونطنب فى بيان الأسباب التى دعت الى التمسك بواحدة منهما وغلبتها على الأخرى فى الاطوار المتتابعة من عصور التاريخ لأن ذلك يستغرق وقتاً لا غنى لنا عنه الآن على أن القارئ على بينة تامة من أن تاريخ

---

(١) الأمير الجليل صاحب السمو يوسف كمال فى أهرام ١٦ — ١١ — ١٩٣٠

التربية جزء من التاريخ العام وهو كما أشرنا من قبل حرب مستمرة بين عوامل القوة والقهر ومبادىء العدل والحرية ولهذا يكفى أن نختصر الكلام ونجمل القول أجمالا لا يضير الموضوع أن شاء الله

يقول الاستاذ «سندرسن» فى كتابه «مجمل تاريخ العالم» ما معناه

«ان الشعوب الشرقية لم توفق لأدراك أن بنى الأنسان أحرار — وينبغى أن يكونوا أحراراً ولكنها عرفت الحرية لواحد فقط — هو المستبد — فصارت ضحايا تقلباته وعبيداً لرغباته وأما اليونان — ومثلهم الرومان — فأدركوا ان الحرية حق لبنى الانسان ولكنهم عرفوها لأنفسهم وأنكروها على من سواهم وأباحوا لانفسهم أن يتمتعوا بثمرة جهود عدد كبير استرقوه ولما جاءت الديانة المسيحية ساعدت الامم الالمانية على أدراك أن الحرية حق طبعى لكل فرد وقضت على الاسترقاق تدريجاً ونشرت ألوية الحرية فى الحكومات الحديثة متبعة فى ذلك مبدأ القومية»

هذا قول يتفق فيه المؤرخون الذين تناولوا الكتابة فى تاريخ الحضارة الأنسانية ومن ذا الذى لا يوافقهم وهو يعلم أن حقوق الفرد فى فجر التاريخ كانت مندمجة فى حقوق الجماعة أيام كان النوع الأنسانى لا يزال فى مهده وكثيراً ما لحقها الأهمال وقضت عليها العوامل الاجتماعية ولعبت بها أهواء طبقة خاصة استأثرت بالسيادة وملكت أزمة الأمور وبخلت بالحرية على الافراد وسخرتهم لارادتها وليس أدل على ذلك من نظام التعليم عند قدماء المصريين فقد كانت المنزلة الأولى والكلمة العليا للأمراء ورجال الدين الذين آثروا مصالحهم على مصالح

الشعب فلم يوجهوا اليه كبير عناية ولم يبالوا بما أوتى الأفراد من الاستعداد العقلي والمواهب الطبعية وكذلك كان الحال فى بلاد الشرق قاطبة فى تلك العصور فان التربية لم تشمل الا فئة قليلة من الأعيان أما الشعوب فقد كانت نسياً منسياً ولم ينفسح أمامها مجال النمو الفكرى والنهوض الأدبى ولهذا لا نجد من بقايا تلك العصور سوى قليل من الاداب والعلوم

اذا انتقلنا الى بلاد الأغريق وجدنا فرقاً كبيراً بين اسبرطه وأثينا ـ كانت المنافسة بينهما شديدة وكانت الأولى لا ترى الا الى تكوين جيش مدرب على القتال شديد البأس جميل الصبر فى المعامع يصدعنها الغارات اذا هاجمها الأعداء ولذلك عمدت الى جعل التربية جندية محضة وجثمانية خالصة وضحت بالحقوق والمواهب الشخصية فى سبيل الواجبات الاجتماعية وقضت على النمو العقلى فى سبيل النمو الجسمى

كان الغرض من التربية «القوة والشجاعة وطاعة القوانين الاسبرطية» وضاعت حقوق الفرد واعتبر مجرد أداة لخدمة الحكومة التى تولت أمر الناشىء منذ ولادته فان كان خالياً من العاهات صالحاً للبقاء تركته تحت رعاية أم نشأت فى التقاليد الاسبرطية وآثرت الرزانة والعبوسة والشدة على الشفقة واللين والبشاشة حتى يبلغ السابعة من عمره وبعد هذا ترعاه الحكومة مباشرة فتنزعه من حضن أمه وتدفع به الى بعض ضباطها وتسكنه فى ثكنة مع غيره وتكثر من تمرين جسمه بواسطة

الحركات المنظمة والالعاب الرياضية وغيرها من مظاهر الشجاعة والمخاطرة بالنفس وتضن عليه بغير الضروري من القوت وتعوده اتباع قوانين لا نراها تتفق الآن مع شرف الانسانية وتعده لأن يكون من ذوى القوة والبطش ولا يزال هذا حاله حتى يبلغ الستين من العمر وعند ذلك يصير عضواً بمجلس الشيوخ

كانت أثينا فى مبدأ الامر ترمى الى الغرض نفسه ولكنها اتخذت طريقاً أخرى أدعى للنجاح وأجدر بالاتباع وجعلت الغاية المنشودة من التربية «الانسان الكامل» فى الجسم والعقل معاً لما بينهما من متين الصلة ولذلك عنيت بالحقوق الشخصية واحترمت ارادة الأفراد وميولهم وأفسحت لهم مجال النبوغ ولم تهمل حقوق الجماعة من الدفاع عنها والسعى فيما يعود عليها بالفائدة المادية والأدبية وانك لا تجد فى عصر من العصور ذلك الائتلاف والتناسب والتوفيق بين حقوق الفرد والجماعة الذى تجده فى العصر الذهبى فى تاريخ أثينا فلقد تمتع الناس بالعيش تحت ظلال الحرية وشغفوا بالجمال مهما تعددت مظاهره وتركوا العنان لخيالهم فهام فى سماء الاختراع وتجلى له الحسن وظهرت آياته فى كل شئ فى السماء والماء والشمس والهواء وفى جميع القرى والمظاهر وضروب الوجدان والعواطف الأنسانية وجعلوا لها تماثيل تجلت فيها القدرة الصناعية وجمال الخيال وقوة الابتداع ثم خروا لأذقانهم سجدا يعبدون هذه الآلهة الموهومة وتفرقوا فى دينهم شيعا واختلط الأمر واشتبه على العامة طريق الحق وحصلت فوضى فى الافكار وذهب

الناس مذاهب متعددة ولم يكن لهم من جامعة دينية أو رابطة قومية فأسرع اليهم الفساد ودبت الأمراض فيهم وانتشرت فى مفاصلهم ومزقتهم كل ممزق وقتلت فيهم روح الحياة الاجتماعية وحاول المفكرون والفلاسفة أن يأخذوا بناصرهم وان يعالجوا ذلك الداء الدفين فيهم ويصدوا تياره ولكن الداء كان قد تحكم وأخذ من النفوس مأخذه وجرى دم الفساد فى عروق الأفراد ولذلك لم ينجح هؤلاء المصلحون فى غرضهم ولم يصلوا الى مطامح أنظارهم واستمر الحال على ذلك حتى وقعت الأغريق فى أيدى الرومان

الى هنا يقف القلم وللموضوع بقية تأتى بعد وما توفيقى الا بالله ؟

محمد على المجذوب
المدرسة الخديوية

ما وراء الذره

تقف النظرية الذريه عند افتراض أن المادة تتكون من أجسام صغيرة تسمى الجزيئات وهذه تتكون من أجسام أصغر منها تعرف بالذرات . وقد يتسرب الى الذهن ان هذه الذرات تتكون من ذهب ورصاص ونحاس واكسيجين الى غير ذلك من أسماء العناصر الموجودة المتداولة غير ان هذا لا يحدد طبيعة الذرة ولا يبين كنهها فهذه الاسماء موضوعة لمسمياتها لتدل على الاجسام المختلفة التى لم تتمكن حتى الآن من تحليلها تميزاً لها عن غيرها .